خمسة عشر قمرًا

مجموعة قصصية

أمل مظهر

اسم العمل : خمسة عشر قمرًا.

نوع العمل : مجموعة قصصية.

الكاتب : أمل مظهر.

تدقيق وإخراج فني: شركة دُنى لفنّيات تقديم المحتوى.

غلاف: أماني محمود.

إشراف عام: أسماء أبو العطا.

رقم الإيداع: ٢٠٢٣/٣٠٢٥٨

S.B.N: 978-977-87113-4-9

دار كاريزما للنشر والتوزيع

المُشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم

جميع الحقوق محفوظة للدار، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأي وسيلة سمعية أو بصرية، وإذن كتابي من الدار يُعرِّض صاحبه للمساءلة القانونية.

إهــداء

إلى قلبي الصغير وهدية الإله، أجمل ما في دنياي وملهمي البريء، مصدر سعادتي وشريك فرحتي وأشجاني وسبب نجاحي، عصفوري الصغير آدم حياتي.

إلى أبي الحبيب أول من اكتشف قدرتي وحبي للكتابة منذ العاشرة من عمري، شجعني كثيرًا منذ الصغر حتى الآن، في يوم من الأيام عندما كنت أقلب في أوراق قديمة وجدت أظرفًا كثيرة، فدفعتني الإثارة لقراءتها فإذا بكاتب وشاعر رومانسي يخاطب زوجته الحبيبة التي باعد السفر بينهما، فعرفت أنكَ أنتَ من أورثتني جينات موهبة الكتابة، شكرًا لك والدي العزيز/ مظهر محمود البري.

إلى أمي الغالية كنتُ أول فرحتك أنا الأمل الذي ولدته الآمال، ومهما كبرتُ ومرت سنواتُ عمري يزاد خوفك عليّ، أحبك ولكني لا أحسنُ الكلام لطالما عبر الطفل عن حبه برسم القلوب لأمه، وأنا الآن أعبر لكِ بخط القلم، أهديتني رعايتكِ واهتمامكِ في الصغر ومهما كبرتُ مازلتُ أحتاجكِ، أحتاج حضنكِ أحتاج

قبلتكِ، أحتاج لين كلامكِ، أحتاج رضاكِ، أحبك يا أمي الجميلة/ آمال.

إلى معلماتي في مراحل تعليمي المدرسي منكنّ تعلمت مسك القلم وخط الحرف، معلمتي التي رسمت مستقبلي وشكلت شخصيتي بفضلكِ أحببتُ اللغة العربية، وكل ماتعلمته منكِ في الصغر كان لي كالنقش على الحجر، أساتذتي في الجامعة بكلية التربية جامعة عين شمس أنتم قدوتي وفخري بكم اشتد قلمي وازدادت ثقتي بنفسي أهديكم نجاحي.

المقدمة

مجموعة قصصية من خمس عشرة قصة قصيرة تجمع بين الرومانسية، والحنين، والإثارة، والخيال، والألم، والأمل، والحكمة، والسخرية، فرسمت الكاتبة بذلك لوحة يمتزج بها خليطًا من كل الألوان لِتُخرج لنا لوحة رائعة مبدعة بألوانٍ فريدة متميزة، وإذا تأملنا هذه اللوحة نجدها مَزجت بين ألوان الخيال والواقع على ألسنة مخلوقاتٍ بعضها خيالي مخلوق من خيال مبدعته جعلته الكاتبة يتكلم ويتحرك ويتفاعل كالإنسان، وبعضها حقيقيّ من واقعِ الحياة، ولم تنسَ الكاتبة أن تضمن مجموعتها بعض مشاعرها لتجعل من نفسها بطلة لبعض هذه القصص في خطٍ عاطفي يجمعُ قصص المجموعة في إطارٍ من الرومانسيةِ الحالمةِ، ولأن كاتبتنا أنثى أرادَت أن تعبّر عن بناتِ جنسها فكانت الفتيات بطلات

قصصها الخمس عشرة، واختارَت أسماءهن لتعبِّر عن حكاياتِهن؛ فكانت (حور) حورية تعيشُ على أرضِ فلسطين شاركتنا آلامها في الحياةِ، وأما (زَبَرْجَد) فقد جاءَت لنا من عالمِ الخيالِ لتأخذنا معها في مغامرةٍ عاشَت فيها الرومانسية والجمال، وإذا قلبتَ الصفحات سينتفض قلبك حنينًا للذكرياتِ حين تفتحُ (أمل) باب صندوق الذكريات فنشم معها رائحة الماضي ومن رحلوا معه على مرِّ السنين، أما (ريتاج) فقد صعدت بأحلامها في سفينةِ الخيالِ طيرًا إلى القمرِ في السماءِ لتسأله متى ترتدي ثوب الزفاف! وعندما نزلنا من سفينةِ الخيال وجدنا أنفسنا نُحلِّقُ وسط الغابات مع (زينة) وهي فراشة حسناء لنكتشف معها حقيقة الحياة، وفجأة نسمع صراخ (ذكرى) تقول: "تحررتُ من يد طيف كانت تخنقني، أزحت كمامة كانت قد كممت فاهي، قطعتُ حبالًا قيدت يديَّ." ثم تسطر لنا كلمات نطقت بها تجربتها

لتقول: "قبل كل نجاح صعاب، وبعد كل جراح ألم التئام، فاجعل عثراتك دافعًا لقيامك." وفي طريقنا نتعثر مع (صَدَفَة) لنعيش معها الصُدْفة الضاحكة، وهنا قد نام قطار الأحلام فخلد ليرتاح، ولكنني سأتابع رحلتي بين صفحات هذا الكتاب سيرًا على الأقدام فالحماس يدفعني والإثارة تجذبني لقراءة حكايات باقي القمرات (الخمس عشرة قمرًا).

حور

في ليلةٍ من ليالي السماء الصافية والقمرُ الساطع في وجه السماء كانت حور تستمتع بقضاء وقتها في القراءة، بينما إخوتها الصغار يلعبون ووالداها يشاهدان التلفاز، وفجأة سمعت صوتًا مرعبًا ثم عمَّ السكون فحاولت النظر حولها ولكنها لم ترَ سوى الظلام أو كأنها لا ترى ولا تسمع، أخذت تصرخ وتصرخ، ولكنها تفاجأت أن صوتها لم يعلُ خارج أعماقها، لم تتحرك حتى شفتاها، كأن جميع جسدها عاجز عن الحركة، هل أنا ميتة أم أني أَحْلُم؟! وبعد ساعات وساعات مَضَت بين حياةٍ وموت بين ذكرياتِ ماضٍ وحاضر، أبْصرت فجأة شعاع حياة قادمًا من بعيدٍ وصوت نجدة يكاد يجيء.

ينادي: "هل أحد هنا؟ هل يسمعني أحد؟"

أصرخ: "نعم، أنا هنا، النجدة النجدة."

ويتكرر النداء، "هل يسمعني أحد؟"

فأصرخ: "نعم، أنقذوني، أنا هنا."

وثالثة: "هل من أحدٍ هنا؟!"

أيقنتْ عندها أن صوتها لم يخرج حتى.

استجمعت قواها المتهالكة وبكل عزمٍ وقوة وإرادة وتمسك بالحياة صرخت كأنها مولود يصرخ صرخة الحياة وهو يخرج من رحم أمه المظلم لنور النجاة.

قالت: "أنا هنا."

سُمِعَ صوتها وتوهج الضوء في وجهها، وقيل: "تعالوا ها هُنا."

هل مرت ساعات أم كانت دقائق! لا أعلم لكن الوقت مر بطيئًا، وصل إليَّ أحدهم وأمسك بذراعي وبدأ يسحبني رويدًا رويدًا، حتى رأيتُ الحياة في نور الشمس، نعم أخيرًا خرجتُ من موت الظلام، بدأتُ أحرك رأسي يمينًا ويسارًا، سألت بهمس أين أنا؟! ما هذا المكان الغريب؟ ولماذا أفترش التراب؟! من كل هؤلاء الناس؟ لماذا العيون باكية؟!

لماذا الوجوه تائهة؟! لماذا الأصوات غاضبة؟! ما كل هذا الخراب؟ ماذا حدث؟!

حاولت التحرك ببطء، آلام جسدي تشتد، قلبي ينتفض، روحي ممزَّقةً، أفكاري مشتتةً، ما هذا هنا؟ كتابي ممزق، أوراقه سوداء! وما تلك هناك؟ دمية إخوتي تبكي بدموعٍ حمراء! أين أمي وأبي؟ تذكرتُ، كانوا يجلسون في صالة دارنا؛ الدار! أين هو الدار؟! يا إلهي لا أصدق، ماذا حدث! أُصِبتُ بصدمةٍ فكأنه قد مسح شريط ذكريات الحياة.

وفجأة حُملتُ على شيء كأنه سرير متحرك، ومنه إلى سيارة لا أدري إن كانت سيارة إسعاف أم سيارة لحمل الموتى؟ تساءلت بنفسي، من هؤلاء بجانبي؟ كان منهم من يتألم، ومنهم من هو ساكن لا يتحرك، وبعد دقائق أخرجونا جميعًا إلى مبنى مزدحم كأنه مشفى، لم أسمع سوى صراخ ونداء، أصوات مرتفعة في كل مكان، وكلما مررنا بغرفة لم نجد مكانًا، أتساءل: ما هذه الدماء في كل مكان؟ ولماذا أصوات البكاء تملأ الأرجاء؟ حتى لم أعد أعلم كيف اختلطت الأصوات؟!

وأخيرًا توقفت الأفكار بتوقف عجلة سرير الإسعاف، فكأن المكان ينتظر ويقول: "من التالي؟"

نظرتُ، ما هذا؟ سرير قد ملأته الدماء؟ قلتُ له: "ما كل هذه الدماء؟!"

قال لها: "لا أدري دماء مَن! فقد اختلطت دماء المئات بدموعي والأحزان."

سُئلتُ: "أين وجع الجسد؟"

قلتُ لهم: "الوجع ليس في الجسد، أرواحنا تمزقت، وقلوبنا تكسرت، وأنفسنا قد تشوهت، ومن حولنا العيون عَمِيتْ والآذان صُمَّتْ والأيدي قد شُلَّتْ."

وفجأة سمعنا صوتًا آخر مرعبًا وبعدها كل شيء أظلمَ، وفي وسط الظلام أغمضتُ عينيَّ، وضممتُ إلى صدري يديَّ؛ ليس بردًا ولكني أطلبُ الأمان.

زَبَرْجَد

في عالمٍ من الخيال كانت تعيش "زَبَرْجَد"، فتاة أجمل من القمرِ، تهيم في عالمٍ من المثالية، تتخيل وتحلم وتحلق بأحلامها لتصل إلى نجوم السماء المتلألئة .

كانت عيناها الخضراوتان يملؤهما غموض البحر الذي كانت تعيش فيه، وكان شعرها الطويل أسود كظلمة أعماقه، وكانت بشرتها كبياض الثلج، وجلدها ناعم أملس كالحرير، أسنانها لآلئ تضيء أعماق البحار، وعنقها إبريق من ماس يتلألأ، إذا ابتلعت ريقها تدفق في عروقها نهر بلا مصب، صدرها كقنديل بحر رخو يشف عروق دمها من خلاله، وخصرها كعود بان مال من حيث استوى من نظر إليها أصابه الجوى.

كانت "زَبَرْجَد" ترى في نفسها أجمل حورية تتبختر وتتباهى بسحر جمالها، وفي صمت مظلم على الجانب الآخر من المحيط كان يراقبها ياقوت الذي سُحر قلبه بحبها، لكن زَبَرْجَد لم تره يومًا أو تشعر به، كانت تحلم بعالم خيالي عالم يتلألأ سحرًا، جنونًا وحبًا، عشقًا وهيامًا، كانت تخرج فجر كل يوم من أعماق بحرها تتأمل هذه الدنيا التي ترى أنوارها من بعيد تبرق كالذهب، تمنت وحَلمَت أن تكونَ من سكانها.

وذات ليلة قررت أن تخرج من عالم أحلامها إلى الحقيقة، وبفضل السحر الذي كانت تملكه في قلادتها السحرية تحولت من حورية بحر إلى أجمل فتاة على الأرض، ولأول مرة رأت عيناها سحر المدينة وهي ما بين اندهاش وانبهار، سحرت ببهرجة المدينة وزحام الناس، رأت الحدائق والنوادي، والملاعب،

والملاهي، والشوارع، والطرقات. بهرها شكل تماثيل الأزياء التي تلبس أجمل الألوان، شدتها رائحة الطعام شكله وألوانه وطريقة تقديمه.

ظلت تمشي وتمشي حتى تملك منها التعب فجلست على أحد المقاعد أمام البحر فكأن نسيمه قد احتضنها فغلبها النعاس، بعد مرور ساعات.

استيقظت "زَبَرْجَد" على صوت سحر قلبها! صوت أنغام الموسيقى، حيث كان يعزفها فنان مبدع يتجول بآلته ليسحر بها القلوب ويخفف بها الآلام والهموم.

تبعته "زَبَرْجَد" خطوة بخطوة كأنه ربطها بحبل مسحور تمشي وتمشي دون أي تفكير أو تعقل، سُحرت بجاذبيته وجماله ورقة شعوره وإحساسه بالموسيقى التي كان يعزفها، ظلت تتبعه لساعات وساعات حتى انتهى يومه وقد غلبه المشقة والعناء فجلس ليرتاح.

وإذا بفتاة تجلس جواره! تنظر إليه بإعجاب وهُيـام، نظر إليها فجذبه جمالها الساحر وسألها في اندهاش: – "من أنتِ؟ ومن أين أتيتِ؟ وماذا تُـريدين؟"

أجابت بدقات قلبها المسحور: "أنا "زَبَرْجَد"."

أتيت من عالم الأحلام، بحثًا عن عشقٍ كالخيال، اقترب منها وبحرارة أمسك يدها فذابت في يديه كالشمعة بانصهار، وضعت رأسها على كتفه كأنها لم تذق الراحة لأعوام، كانت أول مرة تغمضُ عينيها وتعيش السعادة بوئام.

أغمضت عينيها لترى بقلب وعيني من أحبت، أمست وقد صار كل حياتها، نسيت معه حياتها، ووطنها، أهلها، ونفسها بلمسة من يده، بقبلة من قلبه، بعناق من روحه، رأت فيه كل أحلامها تتحقق لتنشق العشق عطرًا وترشف الحب رحيقًا.

مرت الدقائق و الساعات فأصبحت أيامًا وأمست ماضيًا انجلى به الحب والهيام.

لترى ولأول مرة منذ لقائهما بعينيها لا بعينيه وتسمع بأذنيها لا بكلامه لقد رأت الخيانة حقيقة، رأت الكذب صراحة، رأت الخداع والمكر واقعًا، تشتتت أفكارها، تسارعت دقات قلبها، ضاق هواء أنفاسها، ثقل لسانها، تفتت قلبها فسقطت بأرضها.

مرت عليها الثواني ساعات لترى شريط ذكرياتها كأن كلَ ما عاشته كان حلمًا وكل ما أحسته من حب وأمان كان خداعًا واستغلالًا.

أفاقت وقد علت أصوات حديث الناس حولها مجتمعين، وقفت على قدميها وتحركت تجر آمالها المحطمة وأمانيها المبعثرة تجمع ما تبقى من فتات قلبها المحطم وقد أيقنت أن هذا ليس عالمها وأن تلك

الأنوار التي رأتها تتلألأ من بعيد لم تكن إلا سحرًا وسرابًا، ومع شروق شمس يوم جديد قررت أن تبدأ حياتها من جديد؛ تحولت إلى حورية بحر ترى جمال روحها قبل جسدها، تنظر إلى الحياة بنظرة جديدة نظرة صفاء ونقاء، رضا وتواضع، صلابة ورصانة.

عادت إلى عالمها الحقيقي (المحيط) الذي عاشت فيه بين أصحابها وأهلها وأحبابها لتراه بقلبها وعقلها، إنه عالم صادق حقيقي ليس خيالًا أو حلمًا، فرح الجميع بعودتها ورأت في عيونهم فرحة تتلألأ بدموع الاشتياق، ولأول مرة تراه بقلبها لا بعينيها، يراقب من بعيد يتمنى قربها ونسائم عطرها، ولكنه هذه المرة ليس ككل مرة؛ فأخيرًا كسرت قيود التردد والرهبة وتحرك نحوها يدفعه الشوق واللهفة؛ ليقولَ لها بدقات قلبه الذي كاد أن

يخرج من صدره بعض كلمات محب أشعلته اللهفة والرغبة:

أسمعُ صوتكِ فإليك أشتاق

وعند رؤياكِ أشتاق شوقًا

إن أقترب منكِ أهيم شوقًا

وإذ أبتعد عنكِ أموت شوقًا !

يُشتاق لذكراكِ فيذوب المشتاق

ولا تشتاقين لذكرانا فنشتعل شوقًا

قلبكِ كريتاج موصد فلا يشتاق

وقلوبنا تِئِن كَمَدًا فتزداد الأشواق.

نسمع اسمكِ فتغيب عقولنا باشتياق

ويُرى طيفكِ فيتوه الفطين مشتاق

يهب النسيم فيرشف شذاكِ المشتاق

كانت تنظر إليه؛ عيناها في عينيه ويداها بيديه وبلهفة وبرعشة وتسارع الدقات، وبهمسة وبلمسة وبقبلة على اليدين، قال لها: "أحبك، نطقت بها العينانِ قبل اللسان."

أيقنت حينها أن سعادتها كانت بين يديها وأمام عينها؛ ولكنها لم تكن تراها لأنها لم تكن تمتلك القناعة والرضا والإحساس، كانت تتطلع دائمًا لعالم بعيد ترى أضواءه تتوهج بريقًا فتسحر الأنظار والعقول قبل القلوب، ولكن الحقيقة التي تيقنتْ منها "زَبَرْجَد" أن

ليس كل ما يلمع ذهبًا ولا كل ما يتلألأ ماسًا أو لؤلؤًا .

جميلة

اليوم عيد مولِدِها، أحبت "جميلة" أن تجعله يومًا مميزًا عن بقية الأيام المتشابهة، فقررت أن تستيقظ مبكرًا في السابعة صباحًا، دخلت مطبخها وبدأت تحضر المكونات من دقيق ولبن وسكر؛ أرادت جميلة أن تصنع كعك الشوكولاتة الشهي الذي تعشقه، أدخلته الفرن ثم دخلت غرفتها لتختار أجمل الملابس، وبعد أن لبست وتزينت بالإكسسوار والمكياج على غير عادتها، وقفت جميلة أمام مرآتها تخاطب نفسها.

اليوم أتممتُ الخامسة والثلاثين، حققتُ الكثير من أهدافي وأحلامي وأمنياتي؛ انقطع صوت أفكارها على إنذار الفرن يعلن عن نضوج الكعكة، أخرجتها وحضرتْ فطورًا لذيذًا ووضعته في علب صغيرة للطعام وجمعت

حاجاتها في حقيبة ظهرها، ثم ارتدت حذاءها الجديد وفتحت باب بيتها وانطلقت.

وصلت "جميلة" إلى الحديقة المجاورة، دخلت الحديقة تتمشى وتتجول حتى وقعت عيناها على مقعد موقعه مناسب، جلست عليه، كان مقعدًا من الخشب مدهونًا باللون الأحمر مربوطًا بسلاسل تسمح له بالتحرك كالأرجوحة، أخرجت الطعام من الحقيبة ووضعته بشكلٍ مرتب على طاولة من الخشب وُضِعت أمام المقعد، كانت جذع شجرة مقطوعة يَظهر قلبها في دوائر تدور حول بعضها، بدأت تتناول الفطور في وسط أجواء هادئة ومريحة للنفس؛ هواء نقي ورائحة زهور زكية وألحان زقزقة العصافير الساحرة ومقعد متحرك وطعام شهي.

انتهت "جميلة" من تناول الفطور ثم قامت تتجول في الحديقة، أمسكت زوج حذائها بإحدى يديها وخطت أول خطواتها حافية على العشب الأخضر، تحسست قدماها ملمسه كأنه يدغدغ باطن قدميها، أغمضت عينيها وتابعت السير تتخيل عالمًا ساحرًا جميلًا يخلو من الخوف، والقلق، والظلم، والحسد، توقفت لتنامَ على العشبِ تحت ظل شجرة مثل قطةٍ صغيرةٍ لا تحمل هموم الدنيا المزعجة، مرت الدقائق حتى غفت جميلة لترى في منامها عالمًا خياليًّا.

رأت نفسها في ثوبٍ أبيض جميل وملامح وجهها صافية نقية، وشعرها أسود طويل وفوقه تاج من زهور وردية، وقد سمعت امتزاج صوت الفرحة مع علو صفقة النجاح، والحلوى تُوزع على الحضور مع صور تلتقط لذكرى الفلاح.

رأت نفسها وهي تمسك بإحدى يديها قبعة تخرج وبيدها الأخرى رسالة الدكتوراه، لتستيقظ من غفوتها على صوت غناء الطيور مبتسمة متفائلة مخاطبة نفسها بصوت مهموس: يومًا ما سيتحقق حُلمي وأتمم دراستي وسأصبح الدكتورة "جميلة".

باب خشبي

ذات صباح مشرق تطل فيه الشمس بشعاعها الذهبي تراقب من بين ستائر السحب، رأت الشمس "أمل" فتاة جميلة ذات طلة رقيقة كانت تسير في هدوء وصمت كأنها تبحث عن شيء قد ضاع منها وفجأة توقفت أمل كأن سحرًا قد جذبها فَشُدَ قلبها وذابت روحها، نظرت أمل باتجاه باب خشبي لونه بني وشكله عتيق كأنه يحتفظ ببصمات آلاف الأشخاص التي تحمل له أجمل الذكريات، لمست بيدها الباب كأنه تعرف على بصمتها فَفُتِح حنينًا واشتياقًا؛ ومع أول خطوة أصبحت داخل المكان فهبت نسائم الهواء تداعب نوافذهُ لتنشر فوح أريج الأحباب، كل من سكن المكان الذين هم فوق الأرض والذين ناموا تحت التراب، فُتحت بذاكرتها أبواب الذكريات تخيلت "أمل" نفسها تجلس هنا في

الصف الثالث من جهة اليمين تجلس بجانب صديقاتها، تارة منصتة وتارة مازحة ضاحكة، رأت أستاذها كأنها تسمعه يشرح ويملي أجمل الأبيات، رأت الدفاتر والكتب والأقلام، رأت المكان مزدحمًا بالسكان، تحركت حتى لمست قدماها أول درجاته؛ فارتعش قلبها لصوت أنينه بابتهاج، صعدت أمل الدرجة الثانية فالثالثة حتى التاسعة وهي آخر الدرجات، كان لكل درجة صوت يميزها كأنه سُلم موسيقي يعزف أجمل أصوات الحنين والوفاء، سمعت صوتًا كأنه يناديها لتنظرَ باتجاهه فإذا بالنوافذِ تتمايل بين نسائم الهواء، وعطر عبق المكان عبر الزمان .

فكأن نوافذهُ مِرْوحة تتحرك تنقل ذرات الهواء، منتشرًا في الأجواء ليفوح بالأرِيج في الأنحاء.

تحركت "أمل" ثم وقفت فتوقف شريط الذكريات، استندت إلى أحد الجدران منهكة من فرط الحنين ومرور الأعوام، فكأنها شعرت بدفء أنفاس الجدران تُخرج زفيرًا من رئتي الزمان، قالت لها برفقٍ:" اسكني" وبلمسة أناملها تحسست آثارًا رُسِمت ملامحها عبر الأجيال، جلست على أحد المقاعد ترمي بجسدها عليه لعلها تجد الراحة وتسقط همومًا تشغلُ البال، وضعت رأسها وإذا بالنعاس قد غلب عقلها ففقدت الشعور في الحال، قال لها: "اخلدي؛ فقد حَملتُ عشرات الأجيال عبر الزمان."

شامخ أنا في مكاني ثابت ساكن ويسير الدهر علي دون ملل أو حُسبان. أحمل الأرواح قبل الأجساد، حملتُ حسناء وآمال ودعاء وأفراح وأشجان، أحمل بين طياتي كتابات نُقِشت سَجلت خبايا قلوبٍ وأشواق،

شهدت محاضرات وامتحانات، عايشت طلابي حتى أصبحوا في يومٍ بكل فخر أساتذة علماء أجلاء.

أفاقت "أمل"، لتنظر حولها، فتجد كل شيء ساكنًا مكانه في نظام، همت لتخرج وهي تلقي بعينيها السلام، وأُغلق وراءها باب صندوق الذكريات، منتظرًا من يفتحه من جديدٍ بلهفةٍ واشتياق، أنا باب مدرج ١٣٢ بمبنى اللغة العربية في كلية التربية جامعة عين شمس .

رحيق الحب

جلست "رحيق" وعيناها تنظر نحو باب الخيال وقد مالت تجاهه بجسدها وجميع حواسها، كأن كل حواسها تترقب من سيراه أولًا، أو من سيسمع صوته، أو من سيشم رائحته أو من سيحسه ويشعر بقدومه قبل وصوله، يتلهف له قلبها وروحها كأنه مضى أعوام على غيابه رغم مرور أيام فقط، ولكن الشوق قد غلبها، تمر عليها الدقائق كأنها ساعات تتفحص كل من يدخل، تدقق النظر لعلها تلمحه ولكن متى اللقاء.

وأخيرًا.

التقيته فتسارعت دقاتُ قلبي فرحة، كان يلتفت يمينًا ويسارًا يبحث عني، أسرعت نحوه وقلت له: "رحيق هنا" كانت عيناي تلمع فرحة، عدتُ كالطفلة الصغيرة

التي تفرح بلقاء أبيها، رأيت فيه الأخوة والصداقة والحب، أبصرته عيناي أجمل البشر، قد فاح عطره فسُكِر عقلي، جُذبتُ إليه سحرًا حتى صاحبته في الخطوات كأني أخطو على نفس خطاه، تحدثت إليه اشتياقًا ولهفة، كانت تخاطبه الروح: شغلتَ قلبي وعقلي؛ أُحِبُكَ؛ وكفى فقد عجز اللسان وجف القلم.

عابرة سبيل

أشرقت الشمس تطل بشعاعها الذهبي، لتداعب به المخلوقات الصغيرة فتستيقظ، ولأول مرة "زينة" إحدى المخلوقات الجميلة، لتجد نفسها في غابة كبيرة مليئة بالحيوانات الكثيرة، كانت تقف على شجرة عظيمة، ذات غصون وأوراق خضراء عريضة ، نظرت "زينة" إلى كل ما حولها غابة واسعة لاترى نهايتها، أشجار كثيرة، حيوانات كبيرة بل ضخمة، نظرت "زينة" إلى نفسها لتتفاجأ بصغر حجمها، لماذا كل ما حولي كبير وأنا فقط الصغير؟! وبينما هي تتساءل مستنكرة، مر بها مخلوق صغير يزحف بصعوبة على أحد الفروع الصغيرة من الشجرة الكبيرة، نظرت إليه في استهزاء وقالت: "شكلك قبيح وحجمك صغير، ويبدو من حركتك أنك ضعيف."

قال لها: "أتسخرين من أصلك؟"

قالت: "أصلي، كيف ذلك؟! ألا تراني، أنا جميلة جذابة وقوية لدي جناحان لهما ألوان جميلة، أستطيع التحليق عاليًا بعيدًا أطير وأُحط أينما أردت في الغابة الكبيرة، أما أنت فصغير، لونك ليس بجميل، تزحف ولا تطير."

قال لها: "أنتِ يا فراشة أصلك بيضة فيرقة."

ردت باستعلاء: "أنا خُلقت هكذا فراشة جميلة، أما أنتَ يرقة قبيحة."

أنهت كلامها، ثم طارت بعيدًا تستمتع بجمال الطبيعة الجميلة، كانت تطير كأنها صقر في السماء الواسعة، وكأنها ملكت الكون بأكمله. تطير وتَحَطُ، تستطلع العالم، ولأول مرة، هذه وردة حمراء، وتلك زهرة صفراء، وأخرى ياسمينة بيضاء. سُحرت زينة بالألوان الجميلة وشذى الروائح العطرة، والمخلوقات الكثيرة والنباتات المتنوعة، والبحيرات النقية، تنظر إليها من بعيد فتراها تعانق السماء، لتختلط زرقة السماء بزرقة

المياه، وبينما هي على تلك الحال، ينتابها التعب فتحط على أحد فروع الأشجار الكبيرة، رأت مالم تكن تصدقه! ماذا رأت الفراشة؟! رأت الحقيقة التي لم تكن لتصدقها لولا أن رأتها بعينيها.

لقد حطت على إحدى أشجار التوت حيث موطن اليرقات، فرأت اليرقات يصنعن الشرنقة من الحرير حول أنفسهن، ورأت مجموعة أخرى تفك الشرنقة لتَخْرج منها فراشات جميلة.

عندها تيقنت من حقيقة أصلها وخَلْقها، وبينما هي على تلك الحال، غارقة في التفكير، تغطي الغيوم شعاع الشمس، فيظهر الشعاع تارة ويختفي أخرى، وكأنه يراقب من بعيد ليرى ماذا سيحدث.

وفجأة ..

تنخفض درجات الحرارة ليسيطر البرد على كل المخلوقات، فتتحرك مسرعة لدخول بيوتها، ولكن

"زينة" قد ابتعدت عن بيتها، وبينما هي تطير تحاول الوصول لمسكنها، تهب رياح تعاكس طيرانها، كأنها تحاربها، ولكن "زينة" اغترت بقوتها وواجهت الرياح؛ لتجد نفسها قد تاهت كذرة غبار في الهواء، فتنعدم رؤيتها، ويصطدم جسدها الصغير بشجرة لتسقط بعدها على الأرض مكسورة الجناح، لا تقوى على الحركة؛ وبعدها هطلت أمطار خفيفة كأنها تنظف وترتب المكان، بعد هذه العاصفة الشديدة، ومع غروب الشمس عم السكون وانتهى كل شيء.

كأن وداع الشمس حين الغروب قد قبض الحياة على هذه البقعة من الأرض.

ومع إشراقة شمس يوم جديد، يتوهج شعاعها على جناح "زينة" فيتلألأ بقطرات الندى النقية لُيُرينا نهاية حياة قصيرة، حياة عابرة سبيل.

آمـال

ذات صباح استيقظت "آمال" الصغيرة ذات الضفائر السوداء المزينة بشريطة حمراء طويلة، وقبل أن تغسل وجهها ذهبت مسرعة إلى جدها، وبعد أن تناولت معه الفطور اللذيذ قالت له: "جدي احكِ لي قصة قصيرة"

قال لها: "كان يا ما كان في قديم الزمان يُحكى أنه في زمن من الأزمان كانت هناك قرية كبيرة أهلها متحابون، ورغم أنهم ليسوا أغنياء فقد كانت أرضهم تتميز بالعطاء والجمال والجلال، كانوا متحدين ولا يمكن أن يفرق بينهم فارق، وذات صباح ملبد بالغيوم ليس للشمس فيه ظهور نزلت أفواج من الفئران على هذه القرية العجيبة، وفجأة اعتلوا المنصات ونادوا بأعلى الأصوات يا بني البشر نحن الفئران؛ القوة

صفاتنا، والضمير فارقنا، والرحمة ليس لها مكان عندنا، وقد جئنا لَنَهْبِ أرضكم وسرقة دياركم، فإما أن ترضوا وتخرسوا، وإلا أن تموتوا ضربًا، وقهرًا، وظُلمًا، وجوعًا، وفقرًا كلكم، وقد قررنا بصفتنا الفئران أن نأكل كل طعامكم.

وكانت من شيم هذه القرية الشجاعة والمروءة والعزة والكرامة، قرروا أن يخرجوا من بيوتهم بكل أسلحتهم؛ منهم من أخذ بيد المقشة ومنهم من أخذ بنعاله القديمة، وكلهم كانوا على قلب رجل واحد متحدين؛ لذلك هزموا هذا العدو اللعين وعادوا مرة أخرى إلى الجحور متربصين للحظة أخرى للخروج..

"فهذا مصير كل فأر جبان، وهكذا يفعل الأحـــرار."

أريـج

كانت "أريج" تعيش في عالمِها الكلية والمحاضرات، صديقاتها وقرب الاختبارات، التخرج ووداع أحلى الذكريات، يمر وقتها من محاضرة لأخرى والتنقل بين المدرجات.

وبينما هي تقف مع الصديقات أمام أحد أبواب المدرجات انتظارًا لخروج إحدى الدفعات؛ ثم دخولهن لبدء إحدى المحاضرات، شُدّ انتباهها، سُحر قلبها، ولثوانٍ فقدت عقلها، بل فقدت الشعور بالمكان والزمان، مر أمامها كالحلم بملامحه الهادئة وابتسامته البسيطة، وأناقته الرفيعة وحقيبته الأنيقة.

انتهت ثواني الحلم الجميل على إفاقة من إحدى صديقاتها قائلة لها: "هيا لندخل المدرج"

ولكنها ما زالت في حلمها تقول: "من هذا لم أره من قبل في الكلية!" سحبتها صديقتها من يدها ودخلا المدرج .

انتهت المحاضرة وتوجهت الصديقات إلى المكتبة لشراء الكتب، دخلن المكتبة وكانت الصدفة الثانية والحلم فوق السحاب، رأته للمرة الثانية، وتيقنت أنها ليست في حلم، كان يقف في الغرفة المجاورة من المكتبة يتفقد بعض الكتب في هدوء وجاذبية. سألتْ موظفة المكتبة: "من هذا؟" قالت لها: "دكتور حسن"

ظلت تنظر إليه تراقبه، وبينما هي على تلك الحال علا صوت زميلاتها في أذنها وهن يتحدثن عن تشدد الأساتذة وصعوبة المناهج ردت عليهن قائلة: "اصمتن قد يسمعكن الدكتور" ولكنها دون أن تشعر فضحت أمرهن، فقد سمع كلماتها، فماذا كانت ردة فعله!

لقد كان في غاية الهدوء ورُسمت البسمة على وجهه وعند خروجهن من المكتبة، توجه نحو الباب واقفًا أمامه مانعًا خروجهن، والابتسامة تملأ وجهه، وبدأ الحوار، ولأول مرة تتكلم معه، يخاطب لسانه لسانها.

قال لها: "ما اسمك؟" ردت والخجل قد ملأ وجهها، اسمي: "أريج."

قال لهن: "من أي الدفعات أنتن؟"

قالت "أريج": "نحن من الفرقة الرابعة."

تمنى لهن التوفيق وانصرفن. لم تنزل "أريج" سلالم الدرج على قدمها بل نزلت تطير، هائمة في عالم الأحلام، تملأ وجهها السعادة متمنية لقاءه عدة مرات فما رأيكم! هل فقدت عقلها تلك المجنونة؟ هل لا زالت تعيش في عالم الأحلام؟ أم أن الأقدار قد تحقق الأحلام؟

أرجوحة أماني

في مدينة بعيدة كان هناك منزل صغير يتكون من طابق واحد، وتحيط به حديقة جميلة كانت مساحتها كبيرة، وكانت تعيش فيه فتاة رقيقة تقضي معظم حياتها وحيدة تقضي وقتها في حديقتها الجميلة، فتعيش فيها الحرية التي لا تجدها في منزل مقيد بالجدران مغلق بالنوافذ والأبواب.

كانت "أماني" تختلي بنفسها كل صباح تجالس الطبيعة الجميلة وتستمتع بأشعة الشمس الدافئة، وتناجي الأزهار والورود التي تنشر السعادة بألوانها المبهجة وشذى روائحها الفواحة، تنظر إلى النحل والفراشات وهي تحلق في عالم الحرية، كانت تقضي ساعات تتأمل الطبيعة التي تخلو من زيف أو تقمص أو خداع، كانت

تغفو على أرجوحتها التي تهزها نسائم الهواء النقية، فتنام دون خوف أو أرق، وذات يوم كانت تتوسط فيه الشمس قلب السماء تطل من بين ستائر الغيوم فتظهر تارة وتتوارى أخرى، كانت "أماني" تتبختر في حديقتها بين أنواع الزهور تنظر إلى هذه وتنشق عطر هذه، وتتوه في جمال تلك، وتمرر يدها على الأخرى وبينما هي على تلك الحال تحلق في جمال الطبيعة البيضاء سمعت "أماني" صوتًا جميلًا، تحركت تبحث عن صوت الابتهاج، وإذا بمظهر يحير العقول ويشتت الأفكار....

رأت "أماني" مجموعة من الورود ذات لون وردي تتحرك وتصدر أصواتًا كأنها تتحدث إلى بعضها البعض، دنت "أماني" من إحدى الورود وقالت لها: أشممت رائحة عطوركن مع نسمات الهواء النقية فسكر عقلي

وجُذِبتُ إليكن، فمن تكُنَّ؟ قالت: أنا وردة الجوري رائحتي فواحة يُصْنع من زيتي أروع العطور، بالقليل من عطري تنتشر وتفوح رائحتي، نالت أماني من طيب عطرها وودعتها ثم أكملت سيرها...

وبينما تسير "أماني" أحست بالتعب فاستظلت تحت شجرة جميلة تتزين بأزهار بيضاء رقيقة، قالت لها "أماني": "من أنتِ؟" قالت: "أنا "زهرة الياسمين" أُسْتَخْدم في تركيب أروع العطور، ويبقى شذى عطري لوقتٍ ويدوم، صُنفت من بين العطور بعطرٍ رومانسي فآسر بعطري كل قلبٍ دنا مني."

أهدت الشجرة "أماني" ياسمينة ثم ودعتها في سلام.

سارت "أماني" وجالت فشد انتباهها مظهر ساحر لأزهار ذات لون بنفسجي غامق جذاب، قالت: لها "أماني": "ما أروعك! من أنت يا جميلة؟" قالت في زهوٍ: "أنا

"اللافندر" ذات أصل فرنسي يستخدم زيتي في صناعة الروائح، كما أن لي سحرًا في الاسترخاء والعلاج."

خطت "أماني" خطوات وخطوات وفجأة بهرها احتفال جميل تجتمع فيه ورود ذات ألوان متنوعة منها: الأبيض، والأصفر، والوردي، والبنفسجي، والأحمر، والأسود، قالت لهن أماني في دهشة وانبهار: "ما أجملكن! من أنتن؟"

قلنَّ: "نحن أزهار التوليب، من أنواع الزهور العطرية نحتفظ بنضارتنا ورونقنا لفترة طويلة بعد قطفنا، ترمز زهورنا الحمراء للحب والغرام فيتهادى بنا المحبون، وترمز زهورنا البيضاء للحب والتسامح والبدايات السعيدة فتُزين بنا حفلات الأفراح، وترمز زهورنا الصفراء للتفاؤل والأمل والسعادة فتُهْدى لجلب الحظ

السعيد، أما البنفسجي فتثير البهجة والسرور لارتباطها بالربيع."

قالت أماني: "سعيدة برحلتي في عالم الأزهار، فهُدِيت بزهرةٍ بيضاء."

توارت شمس الغروب بين شفق السماء الحمراء، لتستقبل بعدها هدوء ليل ساحر جميل، فتهب رياح خفيفة تحمل نسائم باردة تداعب أرجوحة "أماني"؛ لتستيقظ بعدها فتجد نفسها قد نعست لساعات، أفاقت وأختبأت بدفء شالها الأبيض ولبست نعلها وتحركت لتأوي إلى منزلها وتدخل إلى غرفتها وتمسك بقلمها ومُذَكَرَتِها تدون وتسطر ما رأت من حلم في منامها.

أشواق

فَتحتْ "أشواق" بابَ خِزانتها فإذا بفستان زفافها يطلُ بطرفهِ، نظرت إليه فَخُيل إليها أنه ينظر لها في عِتاب، أخرجته من الخزانة ووضعته على الأريكة، وقالت له: "ما لك حزين؟!" قال لها: "لماذا لم تعودي تشعرين تجاهي بالحنين." واستطرد قائلًا: "أتذكر أول لقاء عندما نظرتِ إليّ فتلألأت عيناكِ، كأنك تيقنت بداخلك أنَي وُجِدْتُ من أجلكِ أنتِ، كأن اسمَكِ قد كُتب على خيوطي من قبلِ أنْ أكون."

دمعت عيناها وقالت له: "عندما وقعت عيناي عليكَ لأولِ مرة أُعجبتُ بكَ من بين المئات، وقررتُ على الفور أن أجربكَ، حينها نظرتُ في المرآة وأيقنتُ أن هذا ما كنتُ أبحث عنهُ في أحلامي، أسرعتُ إلى

البيت وأخذت النقود واصطحبتُ أمي وخالتي وجئنا إليك... فزتُ بكَ فأصبحتَ مِلكي، احتضنتُكَ وحملتُكَ إلى البيت، وضعتُكَ في مكان آمِن.

وقبل الزفافِ بأيام هُيئتَ لي فأصبحتَ تتلألأ نورًا وجمالًا. وجاء يوم زفافي تزينتُ بكَ فأصبحتُ أميرة تضيء الكونَ فرحة. انتهى اليوم وذهبنا لبيت جديد ووضعتكَ في خزانة جديدة، كانت أيام حياتي في البداية كأنها سعيدة ، فكنتُ أسعدُ برؤياك وتتلألأ عيناي بذكراك.

مرت السنوات وكل سنة كانت تحمل الأحزان، والأخرى تحملُ الآلام، والثالثة تحمل خيبة الآمال، والرابعة تحمل اللامبالاة، والخامسة حملت الضغينة، والأخيرة حملت الخيانة، والمكر، والأذى، والآلام، حتى انتهت وأُرِحْتُ بالفراق.

جُرح قلبي فتغيرت نفسيتي، فلم أعد أشتاق لما كنتُ أُحبُ من قبل، ولم يعد يعجبني ما كان يأسرني من ذي قبل." احتضنت أشواق فُستانها كأنه هو من احتضنها ليخفف آلامها، قبلته ووضعته في خِزانتِها، وقالت:

"كثيرًا ما يشعر الجماد بدونِ فؤاد، وينعدم الشعور لدى الإنسان الذي يملك الفؤاد ."

ريتاج

تُفتح نافذة الأحلام كل ليلة مع ظهور قمر المساء، لتنظر منها كل يوم فتاة، كانت "ريتاج" إحدى هذه الفتيات، تنظر كل ليلة إلى السماء تناجي رفيقها باشتياق تحكي وتشكي وتبكي لقمر الزمان، لِتُجلي همومًا طوال النهار. كانت "ريتاج" تنتظر كل ليلة حلول المساء، لتختلي بخليلٍ من غير الإنسان فتحكي ما ظل في الكتمان، فقد عاشت أسى وأنينًا وأشجانًا، أفقدتها الوفاء والأمان في أي إنسان، كانت ريتاج تجلس أمام نافذتها كل مساء تحاور القمر وترد عليها نجوم السماء.

يُحكى عن النجوم أن القمر اصفر لونه ذات مساء حتى اختبأ خلف السحاب. فسُئل: "ما لك يا قمر الأحلام؟" قال: "حزنتُ لما رأيتُ دموع الحسناء ، حين سألتُها في غصة تكتم الأحزان، فيمَ بُكاكِ يا "ريتاج"؟!"

قالت: "اظهر وبان، يا قمر الزمان، وأجب عن الاستفهام"

قال لها: "وما السؤال؟"

قالت له: "متى سأرتدي ثوب الزفاف؟ وإلى متى سأظل أسيرة الخيال؟ أحلم بفتى الأحلام، رقيق المشاعر وسيم كالأفلام."

يخطف قلبي وعقلي ونحيا في وئام، يمازحني ويداعبني ويشاركني الأتراح قبل الأفراح، يفهمني من نظرة عين ويرى دقات الفؤاد، يعشقني فلا يهتز بعدي لفتاة.

يكون كلي وأكون له كل الحياة.

استدار القمر ناظرًا للنجوم وسائلًا: ما رأيكم في هذا الكلام؟ فأنتم خبراء الحب وحكماء الزمان وصندوق ملأته الأسرار.

توهج أحدهم في وجه السماء كأنه يأخذ الإذن بالكلام. قال له القمر: افصح بالمقال، قال: "أنا نجم الثريا من أكثر النجوم تلألؤًا في السماء، أتميز بلوني الأزرق الذي يعبر عن الحكمة والذكاء، عايشت آلاف القصص والروايات، رأيت سعاد حين حَلمت بالسعادة وعاشت جزءًا منها معشوقة في البداية، وبعد وقت أيقنت أنها لم تنضج بما فيه الكفاية، وأنها لم تزل صغيرة ولكن بعد أن كسرت؛ كانت النهاية."

تحولت النجوم جميعًا باتجاه القمر؛ فقال لهم:

الحب في الناس أشكال وأكثرها

كالعشب في الحقل لا زهر ولا ثمر.

التفت القمر حوله فرأى الزهرة تداعب الشعرى، فقال لها: "يازهرة السماء كيف الحال؟"

قالت: "سُحرت بالجمال."

قال القمر: "وأنت يا شعري ما يدور في البال!"

قال: "أنا أجمل نجوم السماء، مضيء لامع في الفضاء، أجاور الزهرة وقريب من الغبراء."

قال القمر: "من سُحر بالجمال وأغفل الوجدان خسر على مر الزمان، ومن اغتر بالجمال وقوة البهاء انفض من حوله الأخِلاء."

وفجأة؛ انتبهت النجوم لصوت أنين وضي برق يَخفت ويضيء.

قال القمر: "ما الخبر؟!"

قال أحدهم: "أنا السهيل، قد شجيت فبكيت؛ شجيت لما انعدم الضمير وضاع الحق وسط الضجيج، وتغالى الناس في استعلاء وتخلى الراعي عن الواجبات، بكيت لما ضاعت القيم، وتاه الحلال وسط الحرام، وثقل الزواج على الشباب فباتت تحلم بثوب الزفاف كل فتاة."

انتشر الظلام وغطى بوشاحه على نجوم السماء فسكت الجمع وعم الصمت، وبصوت خافت نادى القمر على الريتاج، فلم ترد أو تلتفت فقد غفت ريتاج على حافة النافذة لتحقق آمالها في الأحلام وتنتظر بزوغ شمس يوم جديد لتوقظها قطرات ندى تتلألأ بشعاع يداعب قلبها الرقيق.

هـــيـــا

اعتادت "هيا" أن تسافر فجر كل يوم بالقطار من مدينة إلى أخرى، ذاهبة إلى الجامعة حيث التحقت بكلية الفنون الجميلة. ركبت "هيا" القطار وجلست بجانب النافذة تتأمل جمال وروعة الأرض الخضراء، فرأت طفلة تحمل حقيبة المدرسة متعلقة بيد والدها، وبينما هي على تلك الحال شرد عقلها يتخيل شكل اللوحة التي سترسمها وهو أول تكليف يطلبه الأستاذ من الطلاب، فتحت حقيبتها وأخرجت الدفتر والقلم وأخذت تسجل بعض أفكارها لتترجمها بعد ذلك في شكل صورة تنطق بالحياة والأمل والحنين، سطرت هيا بعض كلمات نبض بها قلبها وحنت إليها ذاكرتها وهامت بها روحها.

أحن إلى أيام الطفولة، واستيقاظي مبكرًا كل صباح، ولبسي مريول الدراسة، وحذاءً أسود على جوارب بيضاء، أتذكر ضفيرة شعري الطويلة تزينها شريطة

بيضاء، وكأس حليب دافئ من يد أمي، وإفطاري مع إخوتي كل صباح، ومصروفًا آخذه من يد أبي، وحقيبة مدرسة أحملها على ظهري حمراء، وفي نفس الميعاد وصول حافلة مدرستي الصفراء، ودخول مدرستي ولقاء صديقاتي باشتياق في الصباح، أشتاق لوقفة طابور وتحية علم، ورؤية معلماتي ودخول فصول الدراسة بانتظام، وأتوق إلى كتبي ودفاتري وحل الواجبات، وكل شيء يذكرني بأيام الطفولة والبراءة والنقاء.

بمرور الوقت تُطوى المسافات، ويمر القطار في طريقه ببعض البلدان؛ فيبطئ الحركة على القضبان، فَجَذب انتباه هيا صوت الضحكات واجتماع عائلة على بساط الأرض الخضراء تتناول وجبة الإفطار.

فسافرت بذاكرتها عبر الزمان لتتذكر اجتماع عائلتها كل يوم وقت الغداء، وفي أذنها نغم أصوات الحديث والضحكات وأحلى الذكريات، أمسكت هيا بقلمها لتسطر ماتخيلته بذاكرتها ويحن إليه قلبها.

أشتاق لنفسي وقت الطفولة ولعبي مع إخوتي بكل براءة وابتهاج، وصوت أمي وشدتها وقت المذاكرة وحل الواجبات، حتى مرت أيامنا فكبرنا وكبرت الأحلام، وسار كلٌّ منا على درب الدراسة باجتهاد ونجاح، وبدأتْ تتحقق الآمال.

كنّا كحبات اللؤلؤ في العقد ولكن العقد قد انفرط وتناثرت حباته في كل مكان، فلم تعد تجمعنا غرفة للمنام ولا غرفة للجلوس ولا صحن طعام، كلٌّ منا ذهب يبحث عن آماله و يسعى ليحقق أحلامه، فبعد أن كانت تجمعنا غرفة واحدة فرقتنا المسافات والبلدان، وبعد أن كان يجمعنا صحن طعام واحد فرقتنا المشاغل والأعمال، طال الطريق وغفت هيا جهدًا وأنينًا وبينما هي نائمة ابتسم وجهها وأضاء بهجة، وبمرور الوقت استيقظت "هيا" على صوت صافرة القطار لتجد نفسها قد وصلت محطتها.

همت مسرعة تجمع أدواتها في الحقيبة وتسرع خطواتها للنزول، وهي بين مشي وقفز كالأطفال، استبشرت هيا بأن رؤياها ستتحقق وأن العقد ستجتمع حباته وتعود تتلألأ فرحة بالنجاح وتحقُق الأحلام، وصلت "هيا" إلى كليتها وقد أينعت في ذهنها فكرة اللوحة التي سترسمها، وضعت اللوحة أمامها وأمسكت بفرشاة الألوان وبدأت في رسم لوحة الحنين، تصور فيها غرفة مريحة بسيطة، تخلو من أجهزة التكنولوجيا، يملؤها لعب وضحكات، واجتماع عائلة على صحن فواكه متعددة الألوان، ونافذة قد فتحت ووُضع على حافتها زرع وأزهار.

انتهت "هيا" من رسم لوحتها وحصلت على درجة التقويم، أخذت اللوحة إلى بيت عائلتها وعلقتها على الجدار؛ حتى تنظر إليها كلما تصبو روحها

لاجتماع الأحباب، لعلها تلتقي بهم في يومٍ من الأيام .

بنت الخامسة عشرة

كانت الشمس تلوح في سماء الغروب تعلن عن نهاية يوم يُوَدِع، وقد ملأ الشفق الأحمر السماء معلنًا عن ظهور القمر بعد دقائق.

خلال هذه الدقائق كانت تقف "بشرى" في شرفة منزلها كالأميرة تنتظر وصول قمر المساء سائرًا على الأرض وليس في السماء، فتى الأحلام وبطل الروايات، حبيب قلبها وفانوسها السحري، ظلت تجهز نفسها تارة استعدادًا للقائه، وتارة أخرى تطل من نافذة غرفتها تترقب وصوله، وتنتظر لحظة لقائه.

وفجأة برق ضي القمر في السماء كأنه يعلن عن فرحة واستبشار: "لقد وصل الحبيب" رأته "بشرى" قادمًا من بعيد، رأت فيه الأناقة والجاذبية، السحر والجمال. لمعت عيناها عشقًا وحنينًا، أسرعت إلى غرفتها خجلًا واختباء. وبعد دقائق نادتها والدتها: ""بشرى"؛ قدمي

العصير" حملت الصينية وقلبها يرتعش قبل يديها، قدمت عصير الليمون وبسرعة خرجت تتحسس وجهها الذي ملأته الحمرة حياءً وبهجة.

كانت "بشرى" تقف وراء الستار تستمع إلى كلامه كأنه أجمل معزوفة موسيقية، وبعد قليل تحججت بتقديم الحلوى لتنظر إليه خلسة، فأهداها باقة ورود حمراء، مضت تسعون دقيقة كأنها عدة ثوانٍ، سلم عليها على وعد باللقاء.

قامت "بشرى" إلى نافذتها لتودعه بالنظرات، وبعدها أخذت ترتب المكان وتحمل الأكواب والأطباق، جلست مكان جلوسه تتحسس دفء مقعده، وتنشق شذى عطره في المكان، ظلت تتحسس الزهور بيديها حتى أخذتها إلى غرفتها ووضعتها أمام ناظريها، ثم اعتلت فراش نومها لتودع "بشرى" ليلتها وترى بمنامها أجمل الأحلام مستبشرة بصباح مشرق بالآمال.

ذكرى

في نهاية كل عام اعتاد الناس تسجيل كل ما حلموا به وأنجزوه وما حصل ولم يكن يتوقعونه، بدأت "ذكرى" بتدوين ذكرياتها في هذا العام فقد حدث ما لم تكن تتوقعه أو تتخيله، فعلى الرغم من أنها كانت تتألم بلا أمل، وتعمل بلا حصاد، وتعطي بلا مقابل، فقد كانت تعيش ذكرى حياتها الحلوة في أحلامها فقط ولم تكن تتوقع ما حدث لها وغير حياتها.

كان عامًا هادئًا في بدايته كل ما كان يشغل عقلها: "هل أقص شعري أم أتركه طويلا؟ هل أغير لون شعري كي أشعر بالتغيير أم أتركه على حاله؟ ماذا سأتابع اليوم من مسلسلات وأفلام؟ ماذا سآكل؟ أشعر بالنعاس على الرغم من أنني نمت طويلًا! سأنام مرة أخرى."

سافرت ذكرى بذاكرتها عبر قطار الماضي لتنزل في محطة البداية التي تبعد عن الحاضر بخمس سنوات.

كانت حياة مملة تنعدم فيها المتعة أو السعادة، ورغم أنها كانت في بداية حياتها الزوجية إلا أنها كانت تقضي معظم يومها وحيدة حزينة حتى بدأت تفقد الثقة في نفسها لماذا يقضي معظم وقته خارج البيت؟! لماذا يبتعد عني؟! لماذا يتجاهلني؟! لماذا لا يمازحني، يحادثني، ينظر تجاهي حتى؟!

اتسعت الفجوة أكثر وأكثر عندما قرر هو السفر كأنه لم يكتفِ بتباعد روحيهما فأراد أن يهرب بجسده أيضًا بعيدًا عنها، ورغم ذلك ظل حبها له يشغل قلبها وبالها ليل نهار، لم تنقطع ذكرى عنه بل ظلت تتواصل معه وظلت متألقة جميلة كأنها نجم يتلألأ في سماء سوداء منتظرة عودته كل مساء.

زاد من آلامها البعاد والوحدة فكان قلبها يتألم من حَمل الهموم التي فاضت حتى كُسر قلبها وأُتعب جسدها، فاصبحت هزيلة مريضة لا تتحرك إلا بحقيبة أدويتها، مرت شهور وهي على تلك الحال بين هدوء ورعد بين نسيم وعواصف قالت له: (عُدْ فلم أَعُد أطيق الوحدة) وبعد مدة عاد أخيرًا وهو بين شغف ونشوة للقاء زوجته وندم على عودته.

مرت الأيام على رتابة وملل حتى بدأت تشعر "ذكرى" بألم تارة في بطنها ومرة في ظهرها وأصبح حالها بين اشتهاء للطعام و إفراغ له، زارت الطبيبة وفجأة سمعت تلك العبارة التي عادة ما كانت تسمعها في الأفلام فقط (مبروك حامل).

تقلبت مشاعرها بين فرحة وبكاء (لا أصدق، معقول، الحمد لله) تبخرت كل آلامها بمجرد سماعها الخبر السعيد.

هذه أجمل هدية من الله لعلني بها أجد السعادة والهناء...

أخيرًا سأكون أمًا؟! كيف سيكون ذلك؟ هل سينتفخ بطني؟!

هل سأشعر بحركة طفلي؟! هل سآكل كثيرًا حتى تثقل حركتي؟!

هل سأصرخ وأملأ الدنيا صياحًا وقت ولادتي؟! هل سأحمله بين يدي وأضمه إلى قلبي؟! هل سيكون صبيًّا أم فتاة ؟؟؟

مرت شهور حملها تناجي جنينها الذي أصبح صديقها تتحدث إليه وتكتب له كل مشاعرها، فرحتها وآلامها.

وُلد صبيًا جميلًا وجهه مستديرًا يشع بياضًا ونورًا كالقمر، وشعره أسود أملس مثل ليل المساء، امتزجت دموع آلامها بدموع فرحتها حين رؤيته.

مرت أسابيعها الأولى بين سعادة بتجربة ممتعة وتعب ووجع وثقل مسؤليات عن بيتٍ و طفلٍ لأول مرة، فأصبح حالها بين خوف من تقصير وسهر ووجع وسعادة تُنْسي كل ألم؛ بمسكة من يده الصغيرة لأصبعها، وشده لخصلات من شعرها، وأول نظرة من عينيه، وأول بسمة، وأول مناغاة باسمها، وأول خطوة ثم سقطة ثم مشية فهرول.

ويوم عيده ميلاده الثاني كانت فرحتها فرحتين؛ (صغيري سيشاركنا الحياة أخًا أو أختًا جميلة) كانت

فرحتها لا توصف فقد كانت متعة حياتها طفلها وستزيد متعتها بطفل آخر.

طفلها الذي أنساها كل همومها ووحدتها وحزنها، حتى أصبح كل حياتها، كانت تعيش "ذكرى" سعادتها في اللعب والكلام والضحك والأكل وكل يومها معه، حتى تأقلمت على هذا الوضع فأصبحت تشعر بغرابة إذا حدث خلاف ذلك.

مرت ثلاثة أيام حتى تحقق ما كُتِب لها من القدر.

استيقظت "ذكرى" من نومها يضربها الألم يقطع أحشاءها وبركة من دم تغرق ثيابها. ماذا حدث؟ ولماذا؟ ألم وبكاء، فزع وحزن، تيقنت "ذكرى" أنها فقدت فرحة قلبها فسقطت مغشيًّا على عقلها.

عاشت "ذكرى" أيامًا بين بكاء وألم وحزن وكآبة وعلى العكس فلم يحزن هو فلم يكن ليفرح بهذا الرزق كي يحزن حين فقده.

تحولت حياتها انقلبت تغيرت كأن القدر يكتب لنا الوجع والضعف كي نزداد قوة وإرادة، وقفت مرة أخرى وأمسكت بيد صغيرها الذي كان يشحنها طاقة وقوة بابتسامة من وجهه، قررت "ذكرى" أن تذهب للجامعة وتكمل دراستها (الماجستير)، قدمت أورقها وسُجلت بالجامعة، كانت فرحة "ذكرى" لا توصف، احتضنت ابنها والتقطت معه صورة لتكون ضمن ذكرياتها.

كانت أول خطوة تسترد بها ثقتها بنفسها لتغرس قدميها في أرض صلبة تمد فيها جذور إرادتها وعزيمتها ونجاحها، بدأت تمسك بأدوات قوتها الكتاب والقلم.

حاربت كل من استهزأ وتهكم بها، تمسكت برأيها ونظمت وقتها بين حاجات بيتٍ وطفلٍ ودراسة، تعبت وسهرت وتحدت وواجهت فازدادت قوة.

وهنا بدأ يشعر هو بالغيرة ويظهر كرجل يبحث عن حقوقه كزوج ويطالب بها، طأطأت "ذكرى" رأسها حتى تستطيع أن تمر الحواجز وتواجه الرياح ولكن الأمر لم يبق على تلك الحال فقد أراد أن يكسرها؛ ظل يشغلها بمشكلات يفتعلها ليحطم نفسيتها ويضعف إرادتها، ظل يؤذيها نفسيًا وجسديًا حتى ضاق بها الحال فقررت "ذكرى" أن تستجمع قوتها وتقرر أن تتحدث إلى والديها قالت: أريد الخلاص.

بدأ يثور البركان، خرج صوتها وارتفع بدأت تفصح عما سكتت عنه لسنوات، لقد صبرتُ كثيرًا، عشتُ على حبٍ ظلَّ ينقص ويتناقص حتى انقضى، لقد أنقص الإهمال

وعاء الحب، وأفرغه بخل المشاعر، وملأته قسوة القلب، والغدر، والعنف، والألم، والكره.

عاشتْ شهورًا صعبة أفقدتها راحة النوم وهناء الحياة بين خوف من غدر أو مكيدة أو سرقة أو فَقْدٍ أو سَبِ وضرب، صاحب الرعب قلبها، وبات الفزع في قلب صغيرها، تحملت جميع النفقات فاضطرت أن تعمل لتفي بالحاجات، وازدادت بذلك قوتها أضعافًا.

أفاقت "ذكرى"

من زمن ذكرياتها الماضية على صوت طفلها يناديها: أمي حبيبتي لقد غفوت كثيرًا، أفاقت "ذكرى" لتركب قطار الحاضر وتسطر بيدها كل ما حققته من نجاح وأمنيات في عامها الحالي.

تحررتُ من يد طيف كانت تخنقني حتى كادت تتوقف أنفاسي، أزحتُ كمامة كممت فاهي، قطعتُ حبالًا قيدت يديَّ وسلاسل ربطت قدميَّ، أفقتُ لحاضري ومستقبلي، قرأتُ العديد من الكتب والرسائل العلمية، حضرتُ الدورات والندوات والمحاضرات والحفلات الثقافية والعلمية، سجلتُ رسالة الماجستير، انطلق قلمي الذي جف لسنوات ليسيل حبره ويسطر عشرات القصص.

قبل كل نجاح صعاب، وبعد كل جراح ألم التّام، فاجعل عثراتك دافعًا لقيامك.

صُدفة وصَدفة

عندما يغيير القدر طريقك الذي خططتَ له كيف ستشعر؟!

في صباح يوم باكر تكون قد خططت أن تقضي مصلحة عادة ما تستغرق وقتًا قصيرًا؛ ستسلم أوراقًا مهمة في مصلحة حكومية ثم تذهب سريعًا إلى عملكَ حتى لا تتأخر، وفي أول طريقكَ لذلك يُشعل مصباح عقلكَ فجأة ليقول لكَ: "مُرّ على آلة الصرافة في طريقكِ لسحب آخر مبلغ في البطاقة؛ ورده إلى صديقك في العمل الذي استدنتَ منه."

هذا ما حدث مع صَدَفَة حينما توجهت مسرعَة إلى الماكينة لسحب النقود لتبدأ بعدها في تنفيذ خططها، وقفت صَدَفَة أمام الآلة وأدخلت البطاقة وبدأت في إعطاء الأوامر حتى وصلت لآخر خطوة، خروج البطاقة ثم النقود، وفجأة.

أغلقت الآلة واسود وجهها، ووقفت صَدفَة أمامها مندهشة غاضبة باكية.

ليس وقتكِ الآن، لماذا انطفأتِ؟! هيا عودي مرة أخرى؟! لماذا لا تستجيبين؟! يا أُناس تعالوا ساعدوني، هذه الآلة ابتلعت بطاقتي وانطفأت فجأة ساعدوني.

قال أحدهم: سأفصل الكهرباء ثم أعيدها، فعل ذلك ولكن لا حياة لمن تنادي، كأن رحلتها قد انتهت كأنها تقول لي: اذهبي فلا أمل في أن أعمل، غضبتْ صَدَفَة كثيرًا وقالت في نفسها: ليس وقتكِ الآن، قالوا لها: اتصلي بالرقم الساخن، فاتصلت، نعم إسعاف الآلات، أنقذوني هذه الماكينة ابتلعت الكارت ولا تريد إرجاعه، فكان الرد: توجهي إلى أقرب مشفى. يا إلهي قد ضاع يومي وفشلت مخططاتي!

حسنًا سأتوجه إلى أقرب مشفى، الجو حار والطرق مزدحمة، وصلت أخيرًا، في مدخل الطوارئ سُئلتْ: ما

المشكلة؟؟ قالت لهم: "توجهتُ إلى آلة الصرافة لسحب النقود منها فَسَحبتْ هي الكارت مني"

قيل لها: "تفضلي للدور الثاني انتظري دورك."

ظنتْ أن الأمر يسيرٌ، مرت الدقائق تلو الدقائق حتى مرت الساعة، فتحتْ الحقيبة: ماذا يوجد هنا! كيك نعم، أنا جوعانة، ماء نعم سأشرب، فِشار نعم أريد طعامًا مالحًا، وبعد أن انتهتْ، مرت ثلاث ساعات منذ وصولي هذا كثير مللتُ من الانتظار، أكلتُ وشربتُ وغفوتُ، ماذا أفعل أيضًا؟! لقد نفدَ صبري.

غضبتُ غضبًا شديدًا لماذا أنا؟! قامتْ "صَدَفَة" من مقعدِها وتوجهتْ إلى إدارة المشفى وبصوتٍ عالٍ قالتْ لهم: "لماذا كل هذا التأخير لقد تعطل يوم عملي، وأوشكَ اليوم على الانتهاء، ولا أعلم إن كان وقتِي ضاعَ بأمل أم ضاع بلا هدف؟" رد المدير: "وما طلبك؟" قصصتُ له تلك القصة المضحكة، ابتلعت ماكينة النقود

المريضة بطاقتي في بطنها العملاق، أريد بطاقة نقودي. قال لي: "توجهي إلى تلك المُعَالِجة وستعالِج الأمر"

وبعد دقائق بفضل الله حُلَّتْ المشكلة جزئيًا بعمل البلاغ، وطُلب الانتظار ثلاثة أيام، ثم الاستلام عن طريق شركة شحن توصل لكِ البطاقة حتى المنزِل، دون أي تكاليف مادية، انتظرتْ صَدَفَة أيامًا.. وأيامًا.. وأيامًا.. حتى أصبحت عشرة أيام، فقررتْ الاتصال بالبنك، وبعد الإجابة عن الكثير من الأسئلة والتحقيقات تم التأكد من أنها صاحبة الحساب، وتم توصيل الشكوى لشركة الشحن، وبعد يومين في التاسعة صباحًا رن الهاتف ، رقم غريب! من؟ أنا مندوب شركة الشحن في طريقي لبيتك لتسليم البطاقة، بيتي! متى؟ كيف؟ التاسعة صباحًا أنا في طريقي للعمل، لقد أبلغت الشركة أنني غير موجودة في البيت صباحًا. حسنًا، سنحدد ميعادًا آخر للتسليم بعد عدة أيام. لا، توقف أنا أبتعد عن منزلي قرابة محطتين سأنتظرك في مكاني. رد قائلًا: "تعالي أنتِ إليّ فأنا في نصف الطريق بين بيتكِ

ومكانكِ" رددتُ عليه بكل غضب: "أنت من عليه أن يأتي إليّ ولستُ أنا." مرت عدة دقائق حتى وصل المندوب إلى صَدَفَة، استلمتْ منه الظرف ومضت بالاستلام، وبعدها فتحتْ الظرف وأخذتْ البطاقة، شكلها جميل ولونها مميز، رائع اشتقتُ إليك بطاقتي الحبيبة، متحمسة لتفعيلك والصرف منك مرة أخرى ولكن، هل سأضعك في الماكينة؟ ماذا لو ابتلعتك مرة أخرى!!!